



خطبة صلاة الجمعة 2025/8/15 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الوفاء بالعهد والوعود)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10]

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]

عنوان خطبة اليوم: الوفاء بالعهد والوعود

أيها الإخوة:

الوفاء لعة: التمام، ووفاه حقه أي أعطاه تاماً وإيفاءً.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37] أي قام بجميع ما فرض عليه تاماً وإيفاءً.

فالوفاء هو الالتزام والإتمام لما أُلزم الإنسان به نفسه من عهود أو موثيق أو وعود أو أمانات ونحوها. وردت لفظة "وفى" ومشتقاتها في القرآن الكريم في ست وستين آية، تتحدث عن الوفاء بالكيل والميزان، والوفاء بالأجور، والوفاء بالدين، والوفاء بالعهد والموثيق، والوفاء بالوعد، والوفاء بالعقد، والوفاء بالإيمان والندور.

وكثيراً ما جاء في القرآن فعل الأمر (أوفوا)، وحديث خطبة اليوم عن الوفاء بالعهد والوعد.

## أما الوفاء بالعهد والمواثيق:

فيشمل الوفاء بالعهد والميثاق مع الله سبحانه، أو مع الناس.

فمن عاهد الله تعالى فليوف بعهدة ومن عاهد الناس فلا ينقضن ميثاقه. قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ

وَصَّامِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 152]

قال ابن كثير: (أي: وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك: أن تطيعوه فيما أمركم ونهاكم، وتعملوا بكتابه وسنة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله ﴿ذَلِكُمْ وَصَّامِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾).

قال مالك بن دينار: (دخلت على جاري وهو في الغمرات يعاني عظيم السكرات، يُعَمَى عليه مرة، ويفيق أخرى، وفي قلبه لهيب الزفرات، وكان منهمكاً في دنياه، متخلفاً عن طاعة مولاه، فقلت له: يا أخي، تُب إلى الله، وارجع عن غيِّك، عسى المولى أن يشفيك من أملك، ويعافيك من مرضك وسُقمك، ويتجاوز بكرمه عن ذنبك. فقال: هيهات هيهات! قد دنا ما هو آت، وأنا ميّت لا محالة، فيا أسفي على عمر أفنيته في البطالة، أردت أن أتوب مما جنيت، فسمعت هاتفاً يهتف من زاوية البيت: عاهدناك مراراً فوجدناك غداراً).

فإذا عاهدت ربك على التوبة فف بعهدك، وإذا عاهدته على ترك معصية أو فعل طاعة فلا تنقض العهد، وإن زلت القدم فبادر بالتوبة والندم لتكون من الموفين بعهدهم.

ومثل وفائك بعهد الله وفأؤك بعهد الناس إذا عاهدتهم، أخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر».

وأخرج الإمام مالك عن عبد الله بن عباس قال: (مَا خَتَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَدُوَّ).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: -وَعَدَّ مِنْهُمْ- ورجلٌ بايع رجلاً لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له، وإلا لم يف له».

وقد مدح الله الذين يوفون بعهدهم ومواثيقهم فقال: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]

وذمَّ الله النَّاكِثِينَ الْعَهْدِ النَّاكِثِينَ الْمِيثَاقِ - وهي عادة اليهود المجرمين -: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: 25]

فالحاصلُ أن الوفاء بالعهد سمة أهل الإيمان والصلاح، وأن نقض العهد سمة أهل الباطل والجحود.

**وأما الوفاء بالوعود:**

فالمراد الوفاء بوعد الخير، أما الوعد بالشر فيُستحب إخلافه وقد يجب.

وقد جعل الله تعالى الوفاء بالوعود من صفات الأنبياء، فقال سبحانه: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ

كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54]

قال القرطبي: (وخصَّه الله تعالى بصدق الوعد - وإن كان موجوداً في غيره من الأنبياء - تشریفاً له وإكراماً، وصدق الوعد محمود وهو من خُلق النبيين والمرسلين، وضدّه وهو الخُلف مذموم، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين).

قال النووي: (أجمعوا على أنّ من وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهيٍّ عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف، ذهب الجمهور إلى أنه مستحب، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة شديدة. وذهب جماعة إلى أنه واجب، منهم عمر بن عبد العزيز، فإن كان عند الوعد عازماً على ألا يفي به فهذا هو النفاق).

أخرج البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

ومن عجيب قصص الوفاء قصة الطائي وشريك.

وتلخيص معناها أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه.

وكان رجل طائي فقير خرج يرتاد شيئاً لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتول، فقال: إن لي صبية صغاراً وأهلاً جوعاً، وقد خرجت أسعى عليهم، فأقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس، وقد قُرئت من مقر الصبية والأهل، وهم على شفا تَلَف من الطوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في

أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا يهلكوا، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره.

فلما سمع النعمان مقاله رقى له، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمّنك رجلاً معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك ابن عدي نديم النعمان معه، فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عدي	ما من الموت أنجزم
من لأطفال ضعاف	عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار	واحتياج وسقام
يا أخا كل كريم	أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جد لي	بضمان والتزام
ولك الله بأني	راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي: أصلح الله الملك، عليّ ضمانه.

فمرّ الطائي مسرعاً، وصار النعمان يقول لشريك: إنّ صدّرَ النهار قد ولّى ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك عليّ سبيل حتى يأتي المساء.

فلما قرب المساء قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك، قم فتأهب للقتل، فقال شريك: هذا شخص قد لاح مُقبلاً وأرجو أن يكون الطائي، فإن لم يكن فأمر الملك ممثلاً.

قال: فبينما هم كذلك وإذ بالطائي قد اشتدّ عدوه في سيره مسرعاً حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي، ثم وقف قائماً وقال: أيها الملك، مُرّ بأمرك.

فأطرق النعمان ثم رفع رأسه، وقال له: ما حَمَلَك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك؟ فقال: ديني، فمن لا وفاء فيه لا دين له.

فقال النعمان: والله ما رأيت أعجب منكما؛ أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يقوم فيه ولا ذكراً يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يُذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألامّ الثلاثة. ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونقضت عادي كرامةً لوفاء الطائي وكرم شريك. وأحسن النعمان للطائي، ووصله بما أغناه، وأعادته مكرماً إلى أهله، وأناله ما تمنّاه.

هذه عادة العرب في الوفاء بالوعد ولو على أرواحهم، وإنه من الظلم بمكان أن يقال عن الوعود غير المنجزة وعودٌ عربية، والأصل في الوعود العربية الوفاء، فقد قيل لأعرابي: من السَّيِّدُ فيكُمْ؟ فَقَالَ: الَّذِي إِذَا وَعَدَ وَفَى.

أيها الإخوة:

الوفاء بالعهود والوعد عادة الأتقياء وسمه الصالحين، والغدر عادة الخبثاء وسمه الفاجرين.

وقد عزز القرآن الوفاء، وحذّر من الغدر والخيانة.

فكن من أهل الوفاء ما حييت، واحذر الغادرين الخائنين.

الحمد لله رب العالمين